obeikandl.com

ما هو الدين ؟

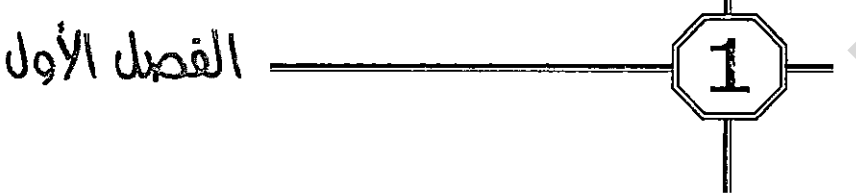

obeikandl.com

تمهيد

هذا هو السؤال الذى سنسعى معاً إلى إيجاد إجابات مرضية حوله، ولكن قبل الشروع فى ذلك نقول : أن كلمة "الدين" من الكلمات المتداولة فى شتى حضارات الإنسان، وربما كانت أكثرها قرباً من الإنسان والتصاقاً به؛ لأنها تمس حياته وأخلاقه وسلوكه وعاداته... إلخ. باختصار أنها تتغلغل فى جوانب الحياة البشرية بأسرها وتسيطر عليها، وتوجهها فى كثير من الأحيان. ومع ذلك فإن تعريفها أو تحديدها أمر بالغ الصعوبة والتعقيد، حتى أننا نجد من الباحثين من يعلن صراحة أن "الدين لا يمكن تعريفه" مثل "كلمنت وب" C. C. Webb، بينما يرى غيره أن "البحث فى التعريفات المتعددة للدين لن يكون سوى عملية تجميع للمعلومات أكثر منه تقديم تعريف جديد للدين" (1).

والواقع أن المشكلات التى يثيرها تعريف "الدين"، والصعوبات التى تعترض طريق الباحث فى هذا الموضوع كثيرة، حتى أننا نجد ما يبرر القول بأنه لا يمكن الوصول إلى تعريف مقنع "للدين"؛ وقد يظن أن انتشار الظاهرة الدينية فى جميع المجتمعات البشرية، وملازمتها للإنسان طوال تاريخه وفى شتى مراحل تطوره يذلل البحث عن تعريف "الدين". لكن الواقع أن العكس هو الصحيح، فهذا الانتشار نفسه يجعل الأمر أكثر صعوبة، لأننا – فى هذه الحالة – نريد أن نصل إلى تعريف جامع مانع، كما يقول المناطقة، يجمع مختلف الديانات بدائية وبشرية وسماوية. . إلخ، ويمنع غيرها من ألوان المعارف البشرية من الدخول فى هذا التعريف. وكيف يمكننا أن نصل إلى تعريف يشمل العناصر الهامة فى الديانات جميعاً لا يستبعد شيئاً، ولا يطرد شيئاً، بل يحوى جميع العناصر فى كل دين ويقدمه فى عبارة موجزة هى ما نسميه بـ "التعريف" (2).

من هنا، فإن كل ما يستطيع أن يقوم به الباحث – على حد تعبير جيمس فريزر James Frazer (1854-1941) – هو أن "يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة "الدين"، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذى حدده لها منذ البداية. وذلك

لأنه لا يوجد موضوع فى العالم اختلفت فيه الآراء مثلما اختلفت حول طبيعة "الدين". ولذا فقد يستحيل علينا الوصول إلى وضع تعريف يكون مقبولاً من الجميع" (3).

ولا شك أن تعدد جوانب الظاهرة الدينية، والصور التى تشكّل فيها الدين منذ فجر الإنسانية – حتى يومنا الراهن – يؤدى إلى ظهور شرط جديد لتعريف "الدين" يمثل هو نفسه عقبة أمام الباحث، ألا وهو أن الباحث ينبغى عليه ألا يتناول جانباً جزئياً من جوانب الدين، أو مرحلة جزئية خاصة من مراحله؛ لتكون هى الأساس والمحور الذى يدور حوله التعريف، ذلك لأن طبيعة الموضوع نفسه وتشعبه تستبعد كل دراسة تكون هى نفسها "أحادية الجانب" – one Sidedness.

ومن ناحية أخرى، فإن أى دراسة لموضوع "الدين" لابد أن تتضمن مجموعة من الآراء غير الدينية، أى مجموعة من الآراء الدنيوية التى قد يسوقها الباحث، أو يفترضها أو ينتهى إليها. لكن هذه الآراء الدنيوية قد يُنظر إليها فى الوقت نفسه على أنها آراء لا دينية أو معادية للدين Anti – Religion. كذلك أن الدراسة العلمية "للدين" مشروعة، وهى تكون نزيهة ومحايدة بشرط ألا يكون الدين ـ موضوع الدراسة ـ هو دين الباحث نفسه، وإلا لأصبح حكمه مختلفاً (4).

* * * *

تعريف الدين

كيف نُعرّف الدين ؟

إذا ما حاولنا أن نبحث عن تعريف لـ "الدين"، واتجهنا إلى أنفسنا لنستخلص ماهيته العميقة ونستبطن من الداخل هذا الشعور اللانهائى؛ لتوصلنا إلى تعريفات متعددة تكشف كل واحدة منها عن جانب من جوانب الدين. يقول "وليم جيمس" William James (1842-1915) فى بداية كتابه : "أنواع من الخبرة الدينية" .

> **"رغم أنه من غير الحكمة وضع تعريف للدين ثم المضى فى الدفاع عنه فى وجه كل الاعتراضات، فإن هذا لن يقف حائلاً دون قيامى بتقديم وجهة نظر محددة بغرض وأهداف هذا الكتاب. فمن بين المعانى المتعددة للكلمة سوف أختار معنىً محدداً تدور حوله هذه المحاضرات. فالدين الذى أعنيه هنا، هو الأحاسيس والخبرات التى يعانيها الأفراد فى عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات. وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهياً. . "** (5).

بعد أن ألقى "جيمس" الضوء على صعوبة تعريف "الدين"، عرفه بأنه: "مجموعة أحاسيس وأفعال وخبرات يعانيها الأفراد فى وحدتهم كلما أدركوا أنهم على علاقة مع أى شىء يعتبر إلهياً"؛ ويتصور "جيمس" "الدين" – حسب التعريف السابق – تصوراً أوسع من المعنى المألوف لـ "الدين". إنه يتصوره علاقة تربط الإنسان بشىء غير منظور دون أن يتحتم أن يكون هذا الشىء إلهاً أو ما يشبه الإله. وهذا التصور نجده واضحاً فى تيارات فلسفية كثيرة من تلك التى تدافع عن "الدين" : فقد نقول عن شخص أنه متدين دون أن يكون معتقداً بوجود إله. وقد يكون الفرد مؤمناً لمجرد وجود العنصر الإلهى فى طبائع الأشياء، أو يتصور أن الكون تركيباً روحياً خالصاً. إننا نسمى هذا التصور تصوراً دينياً رغم أنه لا ينطوى على وجود إله حقيقى محدد (6).

ولا شك، فإن ما يُكون صميم "الدين" فى نظر "جيمس" هو الشعور الدينى الذى هو عبارة عن شعور بالانسجام الباطن العميق، شعور بالسلام والراحة والسعادة، شعور بأن كل شىء يسير على ما يرام فى داخلنا وفى العالم الخارجى أيضاً؛ هذا الشعور ينطوى على الإحساس بمشاركة قدرة أعظم من قدرتنا، والرغبة فى التعاون مع تلك القدرة فى تحقيق أعمال المحبة والتوافق والسلام. وهذا كله يتحقق عن طريق "الخبرة الدينية" التى تقودنا إلى الشعور بأننا نشارك – بطريقة ما – فى موجود أعظم هو الله أو المبدأ الإلهى [7].

يقول "جيمس":

"إن المشكلة التى أخذتها على عاتقى مشكلة عسيرة تتحدد فى الإيمان بأن "الخبرة" هى الأساس الحقيقى للحياة الدينية" [8].

ومن أهم التعريفات فى مجال "دراسة الدين" والتى تشير إلى كل ما يتجاوز حدود المعرفة الإنسانية ويقع فى نطاق السر والمجهول، تعريف "هربرت سبنسر" Herbert Spencer (1820-1903) يقول:

"الدين هو الإحساس الذى نشعر به حينما نغوص فى بحر من الأسرار"

كما يقول أيضاً:

"إن الأديان على قدر اختلافها فى عقائدها تتفق – ضمنياً – فى إيمانها بأن وجود الكون هو سر يتطلب التفسير".

معنى هذا، أن "الدين" هو الإحساس العميق بشىء غامض عسير الفهم. ويذهب "ماكس موللر" Max Muller (1823-1900) إلى المعنى نفسه – تقريباً – فيحدد "الدين" بأنه الإحساس باللامتناهى [9]. أو هو السعى نحو تصور ما لا يمكن تصوره وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه التطلع إلى اللامتناهى.

أما شليرماخر Schleiermacher (1768 - 1834) فيرى أن "الدين" هو

obeikandl.com

الوعى المباشر بالوجود الكونى، وهو أيضاً شعور باللامتناهى؛ هو الحياة فى الطبيعة اللانهائية للكل فى الواحد والواحد فى الكل (أى فى الله)[10].

ويرى بعض الباحثين أن فكرة "الألوهية" إذا أخذت بمدلولها الضيق، فإنها تترك كثيراً من الأديان خارج دائرة التعريف؛ وهى الأديان التى تضع فى بؤرة معتقدها كائنات روحية من مختلف الأنواع، كأرواح الموتى والأرواح الموجودة فى مظاهر الطبيعة المختلفة والتى لا تنطوى تحت مفهوم الآلهة المعتاد.

من هنا يرى "إدوارد تايلور" Edward Tylor (1832-1917) "مؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية" أن التعريف الأشمل ينبغى أن يستبدل مفهوم "الكائنات الروحية" بمفهوم "الآلهة" وها هو يقول :-

> **"أول ما تحتاج إليه الدراسة المنهجية لأديان الشعوب البدائية هو وضع تعريف مبدئى بسيط للدين. وإذا اشترطنا فى هذا التعريف وجود الاعتقاد فى إله أسمى أو فى الحساب بعد الموت أو عبادة الأوثان أو تقديم الأضاحى والقرابين، أو غير ذلك من الطقوس والشعائر التى لا تشيع عند كل الجنس البشرى؛ فسوف نُخرج كثيراً من الشعوب من دائرة الدين. ولكن يؤخذ على مثل هذا التعريف الضيق أنه يقصر الدين على بعض التطورات والأشكال الخاصة بدلاً من أن يربطه بالدوافع أو البواعث العميقة التى تكمن وراء كل هذه التطورات. ويبدو أنه من الأفضل الرجوع إلى المصدر الجوهرى أى الاعتقاد فى الكائنات الروحية** Belief in Spiritual Beings **"** [11].

كان "تايلور" حريصاً أشد الحرص فى معالجته لـ "الدين" ومحاولته تحديد مجاله وإيجاد تعريف له أن يأتى تعريفه خالياً من كل التعقيدات، وبعيداً عن القيود الكثيرة التى كان يهتم بوضعها علماء القرن التاسع عشر[12]. فالتعريفات الضيقة المليئة بالاشتراطات لا تنظر إلى الدين فى إطلاقه وعمومه، وإنما تربط فكرة

"الدين" دائماً ببعض الأشكال الخاصة التى تطورت الفكرة الأصلية إليها؛ بدلاً من أن تربطها بالنزعات والدوافع الإنسانية التلقائية العميقة التى تكمن وراء هذه الأشكال والصور. وكان "تايلور" يعرف من تجربته ومن ملاحظته المباشرة للمجتمعات المتحضرة الحديثة، إن الرجل المتحضر المتدين يعتقد فى الله على أنه أكمل مظهر للكائن الروحى الخالص، كما كان يرى فى الوقت نفسه – من قراءاته ودراساته – أنه يوجد عند الشعوب البدائية معتقدات تعكس المبدأ نفسه بشكل أو بآخر [13]، وبذلك كان لابد له من أن يربط بين الناحيتين .

وتوصل "تايلور" من خلال هذا كله، إلى أن الأساس الذى يرتكز عليه الدين فى عمومه هو "الاعتقاد فى الكائنات الروحية" [14]، ولذلك يكتفى بأن يتخذ من هذا الاعتقاد التعريف المبدئى البسيط لـ "الدين". فأى نظام من الشعائر والممارسات يقوم فى أساسه على الاعتقاد بوجود كائن أو كائنات روحية يجب اعتباره "ديناً"، وأى دين من الأديان يجب أن يتضمن الاعتقاد بوجود هذه الكائنات الروحية. وإن كان ذلك لا يمنع بالطبع من تعقد بعض الأديان واحتوائها على عناصر أخرى كثيرة إلى جانب هذا الاعتقاد [15].

وهنا يأتى "جيمس فريزر" ليقدم تعريفاً مكملاً لتعريف تايلور فيقول أن:

> **"الدين هو عملية الاسترضاء والتقرب إلى القوى العليا التى تفوق الإنسان والتى يُعتقد أنها توجه سير الطبيعة والحياة البشرية وتتحكم فيهما"**

وعلى أساس هذا التعريف يتألف "الدين" من عنصرين أحدهما نظرى وهو الإيمان فى وجود قوى أعلى وأسمى من الإنسان، والآخر عملى وهو محاولة استمالة هذه القوى وإرضائها. وواضح أن عنصر الإيمان هو أسبق العنصرين، إذ لابد من أن نؤمن بوجود كائن إلهى قبل أن نشرع فى إرضائه والتقرب إليه. ولكن إذا لم يترتب على هذا الإيمان قيام شعائر وممارسات تصاحبه، فإنه يصبح مجرد لاهوت فكرى. ويعبر "فريزر" عن ذلك بقوله :-

"إن العقيدة التى لا تدور حولها أى شعائر أو طقوس تموت لأنها تكون وحيدة ومنعزلة، ومن ناحية أخرى فإن الشعائر والطقوس المجردة من كل اعتقاد دينى، ليست من الدين فى شىء" (16).

معنى هذا، أن "الدين" هو علاقة روحية بين الشخص المتدين وبين قوة سامية أو عليا يتصورها على طريقته الخاصة، يقر بسلطانها ويطمئن إليها أو يخشاها فى الأحوال العادية؛ ويستعين بها روحياً فى أحوال الشدة. ولذلك فـ "الدين" يتضمن اعتراف الإنسان وإيمانه بقوة عليا إلهية أو فوق بشرية مسيطرة وجديرة بالطاعة، كما يعنى ممارسة الطقوس الدينية والخوف من الله وتقديسه والخشوع له وعبادته؛ ويشتمل على نظام كامل من التعاليم الإلهية التى تجمع بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة (17).

الدين – كما يقول "جيمس مارتينو" James Martineau (1805-1900)– هو الإيمان بإله دائم الحياة، أعنى الإيمان بعقل إلهى وإرادة إلهية يحكمان الكون ويرتبطان مع البشر بعلاقات أخلاقية. ويذهب "شيشرون" Ciceron إلى المعنى نفسه تقريباً حينما قال أن: "الدين هو الرباط الذى يصل الإنسان بالله"(18).

ويقول "هوفدنج" Hoffding (1843-1931) إن "ماهية الدين هى الإيمان بدوام القيم فى العالم". ويذهب "هيجل" Hegel (1770-1831) إلى أن "الدين هو المعرفة التى تكتسبها الروح المتناهية Finite Spirit بجوهرها بوصفها روحاً مطلقة".

وإذا انتقلنا إلى "برجسون" Bergson (1859-1941) فسنجده يقرر أن "الدين، حتى فى أدنى صوره وأكثر أشكاله بدائية، هو وليد حاجة بشرية، إن لم نقل وظيفة طبيعية" وقد ميز بين نوعين من الدين: الدين الساكن أو الاستاتيكى Static، والدين المتحرك أو الديناميكى Dynamic (19).

الأول : هو الدين الطبيعى الذى يمكن اعتباره مجرد رد فعل تقوم به الطبيعة ضد ما يترتب على استعمال العقل من أثر مرهق للفرد ومفكك للجماعة .

فنحن نلاحظ أن النباتات والحيوانات تحيا غارقة فى طمأنينة مطلقة

لا يكاد يعرفها الإنسان، نظراً لأنها تحيا فى "الآن" – كما لو كانت تنعم بأبدية ليس فيها موضع للقلق أو اللهفة أو السأم – لكن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يبحث ويتردد ويتعثر، ويضع مشروعات ويتخذ قرارات، ويخشى أن تفشل مشروعاته أو يخفق فى تحقيق قراراته؛ ويشعر دائماً بأنه مهدد بالمرض ويعرف مقدماً أنه لا محالة ذائق الموت. وليس من شك فى أن يقظة العقل قد تفضى إلى "قلق بشرى" يكون هو الكفيل بالقضاء على نظام الطبيعة. وفضلاً عن ذلك، فإنه بينما يحقق الحيوان بغريزته تلك الأفعال الضرورية للحياة، نجد أن فى وسع الإنسان – بفضل ما لديه من عقل أو ما يتمتع به من ذكاء – أن يتحقق من أنه قد يكون من مصلحته أن يغفل الآخرين وألا يكترث إلا بنفسه. وقد يظهره الفكر نفسه على أنه ليس هناك دائماً توافق حقيقى بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة. ومعنى هذا أن يقظة العقل قد تكون ضارة بالجماعة كما هى ضارة بالفرد [20].

غير أن الطبيعة هى التى أرادت العقل كما أرادت الغريزة، وهى قد تكفلت من تلقاء نفسها بإعادة ذلك النظام الطبيعى الذى قد يخل به العقل. وسبيلها إلى ذلك هو تلك الخرافات والأساطير التى يتميز بها "الدين الساكن". والواقع أن الطبيعة قد وهبت الإنسان ملكة خاصة تشبه الخيال من بعض الوجوه.

وتلك هى "الوظيفة الأسطورية" أو "الملكة الخرافية" التى بمقتضاها يستطيع الإنسان أن يخترع شخصيات خيالية يخلع عليها صوراً متباينة وأشكالاً متعددة، وينسب إليها صفاتًا وأخلاقاً وتاريخاً بأكمله. وهذه الشخصيات قد تكون "أرواحاً" بادئ الأمر، ثم تستحيل إلى "آلهة" أو "قوى إلهية" فيما بعد. ولكن المهم أن "الوظيفة الأسطورية" هى التى تحملنا على الظن بأن تلك القوى الإلهية تراقبنا وأنها تتطلب منا الولاء والخضوع لذلك المجتمع. وليست هذه "الوظيفة" بمثابة غريزة، ولكنها تقوم فى المجتمعات البشرية بدور يشبه إلى حد كبير ذلك الدور الذى تقوم به الغريزة فى المجتمعات الحيوانية. إذن، فـ "الديانة الاستاتيكية" هى التى تحمل الفرد على التشبث بالحياة، على الرغم من إدراكه العقلى لحقيقة الموت، وهى التى تدفعه إلى الإخلاص للجماعة، على الرغم من نزوعه العقلى نحو التفرد [21].

أما إذا نظرنا إلى "الدين المتحرك" أو "الديانة الديناميكية"، فسنجد أنفسنا – على حد تعبير "برجسون" – "بإزاء تجربة روحية منبعها "الحدس" لا الغريزة، وغايتها الاتصال بالله لا التشبث بالمجتمع؛ ووسيلتها الانفصال عن كل شيء لا التعلق بالحياة. وإذا كنا أطلقنا على هذه التجربة الروحية اسم "الدين"، فذلك لأن "الدين المتحرك" يحقق للمرء الطمأنينة والسكينة". وهو أيضاً ذلك "الدين" الذى نلقاه لدى الصوفية من أمثال القديسة "تريزا دافيلا" Therese Diavila، والقديس "فرانسوا داستيز" François d'Asise والقديس "جان دلاكرو" Jean de la Croix. وعلى الرغم مما قد يكون بين هؤلاء الصوفيين من خلاف فى التعبير عن تجربتهم الحدسية المباشرة، فإنهم جميعاً يصدرون عن احتكاك مباشر أو اتصال فعال بالجهد الخالق الذى يكمن من وراء الحياة. وهذا الجهد هو الله نفسه.

ولكن هل حقاً لا يبدأ "الدين" إلا إذا ظهرت فكرة الإله ؟ يوجه "إميل دوركايم" Emile Durkheim (1858-1917) نقداً شديداً لكل الصور التى تقصر الدين على الممارسات التى تتضمن توسلاً لكائنات روحية أعلى تسمو على الإنسان، ويرى أن أمثال هذه الصور لا تنطبق على أديان متعددة الانتشار، لا تدور معتقداتها حول أرواح أو آلهة من أى نوع؛ أو أن هذه الكائنات لا تلعب فيها إلا دوراً ثانوياً. ومن أهم الأمثلة على ذلك "البوذية" Buddhism فهى نظام أخلاقى بلا دين، إنها لا تعترف بدين يتعلق بإله وتقوم على قضايا أربع تسمى "الحقائق النبيلة" [22] وهى كالآتى :

1ـ يوجد الألم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأشياء كلها.

2ـ الشهوة تبدو فى كل شيء وهى علة الألم.

3ـ القضاء على الشهوة هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الألم.

4ـ خطوات ثلاث للقضاء على هذه الشهوة : الاستقامة والتأمل والحكمة. والحكمة هى غاية الغايات بها يصل الإنسان إلى الخلاص، إلى سعادته المطلقة.

رفضت "البوذية" النظرة المتمركزة حول الذات والتى تفرض بالضرورة أن

تتألف الحقيقة الروحية من كثرة من موجودات متمركزة حول ذاتها، وذلك لكى يستطيع الناس أن يعيشوا حياة أوسع وأكثر حرية، وهى الحياة التى تجاوز الحدود الضيقة لرغبات الفرد وشهواته؛ الحياة المتعالية المتحررة من الرغبة التى هى "النرفانا" Nirvana. والسعى نحو هذه الحياة المتعالية هو الذى يزودنا بكل دافع ضرورى للكفاح الأخلاقى [23].

انطلاقاً من هذا النقد، يرى "دوركايم" أن أى تعريف للدين يجب أن ينطبق على جميع الديانات، من أكثرها بدائية إلى أكثرها تطوراً وتعقيداً؛ ولكى نستطيع صياغة مثل هذا التعريف ينبغى لنا أن نبحث عما هو مشترك بين الديانات المعروفة جميعاً، ونسقط من حسابنا تلك الأفكار والمعتقدات التى يختص بها دين دون آخر. ولما كانت القوى الفاعلة فى الطبيعة ليست وقفاً على قوى الكائنات الروحية المشخصة كالآلهة وغيرها، فإن "الدين" لا يمكن تعريفه عن طريق علاقة الإنسان بهذه الكائنات. ومن هنا يؤكد "دوركايم" أن كل المعتقدات الدينية المعروفة تحتوى على خاصية عامة مشتركة، فهى تفترض تقسيم العالم إلى قسمين – إلى نوعين متضادين – المقدس والدنيوى Sacred and Profane [24].

وهذا التقسيم الذى يحتوى الواحد منهما على كل ما هو مقدس، والآخر على كل ما هو دنيوى هو السمة الأساسية المميزة للفكر الدينى. وأن كل التمثيلات الدينية ما هى إلا وسائل تعبير عن طبيعة الأشياء المقدسة وعلاقتها ببعضها أو علاقتها بالأشياء الدنيوية. من هنا يمكن أن نفهم لماذا تعتبر "البوذية" ديناً رغم استبعادها للآلهة من معتقدها، فبدلاً من الإيمان بإله يتمركز حوله المعتقد والطقس، فإنها تؤمن بالحقائق النبيلة وما ينتج عنها من ممارسات .

إضافة إلى هذه السمة الأساسية لـ "الدين"، فإن تعريف "دوركايم" يؤكد على الطابع الاجتماعى لـ "الدين". فالمعتقد الدينى الحقيقى هو على الدوام معتقد لجماعة معينة من الناس يقتصر عليها ويميزها عن غيرها من الجماعات، ويطلق "دوركايم" على مثل هذه الجماعة المتحدة اسم "الكنيسة" Church. يقول :-

"الدين هو نظام موحد من المعتقدات والممارسات التى توجه نحو موضوعات مقدسة يتم عزلها عن الإطار الدنيوى، وتحاط بشتى أنواع التحريم. وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين بها فى جماعة واحدة تدعى "الكنيسة" (25).

والموضوعات المقدسة التى يشير إليها تعريف "دوركايم" لا تقتصر على الأشياء المجردة والغيبيات، ذلك لأن مفهوم "المقدس" يمكن أن يشتمل على الموضوعات المادية والمعنوية فى آن معاً. من هنا فإنه يرى ضرورة وضع معيار للتمييز بين ما هو مقدس وما هو دنيوى فى معتقدات وممارسات الجماعة. إن ما يميز "المقدس" فعلاً هو تمايزه المطلق عن "الدنيوى"، بحيث لا نكاد نعثر فى تاريخ الأفكار الإنسانية على نوعين متضادين ومتعارضين – كحال المقدس والدنيوى. وإلى جانب ذلك، فإن طائفة من التحريمات تنمو فى طقوس الثقافات البدائية من أجل الفصل التام بين "المقدس" و"الدنيوى" ومنع اختلاطهما وذلك مثل التحريمات المتعلقة باللمس أو النطق أو النظر... إلخ (26).

لقد أثرت أفكار "دوركايم" على كثير مما جاء بعده من دارسى الدين، ولعل أكثر من تأثر – من الباحثين المعاصرين – بفكرة "المقدس" هو مؤرخ الأديان المعروف "ميرسيا إلياد" Mircea Eliade (1907-1986) كتب يقول فى مقدمة كتابه : "تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية" :-

"إن كل مظهر للمقدس هو بالنسبة لمؤرخ الأديان ذو محصلة، فكل طقس وكل اسطورة وكل معتقد أو صورة إلهية يعكس تجربة المقدس؛ ومن ثم فهو يدخل فى مفاهيم التكون والمعنى والحقيقة (27).

إن البداية الحقيقية لفهم "المقدس" ذاته – كنظام رمزى (28) – تنبع من داخل الحياة الروحية، هذه الرمزية هى التى تجعله مقبولاً بكل تناقضاته؛ لأن هذه التناقضات يستقبلها الإنسان – كما يرى علماء النفس – عن طريق الشفرة فى خلايا دماغه وفى جهازه النفسى (29).

وهنا يجب أن نتوقف عند تعريف "رودلف أوتو" Rudolf Otto (1869-1937) لـ "الدين" وهو لاهوتى ألمانى وباحث فى تاريخ وفينومينولوجيا الدين، وذلك نظراً للسلطة الكبيرة التى مارسها فى كتابه "فكرة المقدس" على الدراسات الدينية. يعالج أوتو – فى كتابه وبشكل أوضح وأوسع – الفكرة التى كان قد تقدم بها شليرماخر حول وجود وعى بالمقدس مغروس فى النفس الإنسانية يقول :

"إن الحالة الأصلية للوعى بالمقدس، هى تجربة انفعالية شعورية غير عقلية" (30).

يرى "أوتو" أن التجربة الانفعالية التى تعبر عن الارتباط بقوى لا تنتمى إلى العالم، تعطى إحساساً مزدوجاً بالخوف والانجذاب فى آن معاً. هذا الإحساس هو واقعة نفسية لا تنشأ عن أى إرادة أو تصميم مسبق، بل العكس هو الصحيح تماماً؛ ذلك لأن الفرد يجد نفسه تحت سلطان هذا الإحساس دون مقدرة على التحكم فيه. والطابع الانفعالى غير العقلانى – كما يقول "أوتو" – لا يمكن التعبير عنه بلغة الواقع المعاش ومفردات التجارب اليومية.

والمنهج الذى استخدمه "أوتو" فى كتابه، هو منهج سيكولوجى ظاهراتى؛ فقد حاول وصف البنية الأساسية للدين ورد الفعل الإنسانى على خبرة "المقدس"، موضحاً أن الدين جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة الإنسانية وموجود معها منذ البداية. وبينما تكون التعبيرات الظاهرية عن الدين عرضة للتغير والتبدل مع الزمن، فإن التكوين السيكولوجى الذى يجعل الدين ممكناً عند الإنسان ثابت لا يتغير (31).

وأخيراً، عبر "وايتهد" Whitehead (1861 - 1947) أصدق تعبير عن خبرته الدينية الخاصة فقال:

"إن الدين عيان لشىء يقوم فيما وراء المجرى العابر للأشياء المباشرة، وخلف هذا المجرى، أو فى باطنه؛ شىء حقيقى ولكنه مع ذلك ما يزال ينتظر التحقق، شىء هو بمثابة إمكانية بعيدة، ولكنه فى الوقت نفسه أعظم الحقائق الراهنة؛ شىء يخلع معنى

على كل ما من شأنه أن ينقضي ويزول، ولكنه مع ذلك يستعصى عن كل فهم؛ شيء يعد امتلاكه بمثابة الخير الأقصى، ولكنه في الآن نفسه عصي بعيد المنال؛ شيء هو المثل الأعلى النهائي، ولكنه في الوقت نفسه مطلب لا رجاء فيه" [32].

معنى هذا أن الدين ينشد اللامتناهي، واللامتناهي بحكم تعريفه مستحيل أو بعيد المنال، فهو إذن لا سبيل إلى بلوغه أبداً. الدين أيضاً ينشد "النور" ولكنه نور لا يمكن العثور عليه في أي مكان أو في أي زمان. أنه ليس موجوداً في أي مكان أو هو النور الذي لا وجود له أصلاً في عالم المكان. أنه "النور" الذي لم يكن قط، لا فوق البحر ولا على الأرض؛ أنه لم يوجد قط ولن يوجد. أنه النور الأعظم الذي يضيء أرجاء العالم[33].

ويعبر "وايتهد" عن البصيرة الدينية في كتابه : "الدين في مراحل تكوينه" فيرى أنها إدراك للحقيقة التي ترى أن نظام العالم، وعمق حقيقة العالم، وقيمته في مجموعه وفي أجزائه، ومتعة الحياة وسلام الحياة والتغلب على الشر – هي أمور مرتبطة معاً ولا تأتي عرضاً. وبسبب هذه الحقيقة يكشف الكون عن نشاط خلاق ذي حرية لا نهاية لها، وعن مملكة من الأشكال ذات إمكانيات لا متناهية؛ ولكن هذا النشاط الخلاق وهذه الأشكال عاجزة كلها عن إنجاز الواقعية بمعزل عن الانسجام المثالي، الذي هو الله [34].

وهكذا نجد أن التعريفات السابقة كلها "أحادية الجانب" فهي تركز على جانب واحد وتترك بقية الجوانب، أي أن بعضها يهتم إهتماماً أساسياً بالتركيز على الجانب الموضوعي للدين الذي يتمثل في وجود إله، في حين أن بعضها الآخر يركز على الجانب الذاتي المتمثل في أخلاقيات الإنسان ومشاعره وعواطفه .. إلخ، ومن هنا كانت التعريفات واحدية الجانب، أعني أنها تعبر عن جانب واحد فحسب، إما الجانب الموضوعي الخارجي أو الجانب الذاتي الداخلي. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن كل مفكر إنما يصوغ تعريفه من واقع معتقداته الخاصة، فمعظم تعريفات الدين صدرت من وجهة نظر بعض العقائد الدينية "ولا سيما المسيحية" بصفة خاصة. ونتيجة لذلك لم تبرز الماهية الكلية للدين بصفة عامة [35].

الاشتقاق اللغوى للدين

فى اللغة العربية

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية لوجدنا فى "لسان العرب" لابن منظور أن كلمة " الدِّينُ " تعنى الديان من أسماء الله عزوجل معناه الحكم القاضى، وسُئل بعض السلف عن على بن أبى طالب فقال : كان ديان هذه الأمة بعد نبيها، أى قاضيها وحاكمها. والديان القهار. والديان هو فعال من دَان الناس، أى قهرهم على الطاعة. ويوم الدين هو يوم الجزاء والجمع الأديان. والدين : الإسلام. والدين العادة والشأن. ودِّنت الرجل خدمته وأحسنت إليه. والدين السلطان والمدينة الأمة المملوكة. وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (آية 53 من سورة "الصافات") أى مجزيون محاسبون. والدين : الحال. والدين : الورع والطاعة [36].

وفى المعجم الوسيط، نجد (الدين) : الديانة أى اسم لجميع ما يُعبد به الله. و – الملة. و – الإسلام.و – الاعتقاد بالجَنَانَ. والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان. و – السيرة. و– العادة. و – الحال. و – الشأن. و – الورع. و –الحساب. و– الملك. و – السلطان. و – الحكم. و – القضاء . و – التدبير. و (الدِّينُ) هو العبادة والطاعة [37].

وفى تفسير القرطبى "الدين" هو : الجزاء على الأعمال، والحساب، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ (آية 25 من سورة النور).

ويقول الشهرستانى فى كتابه "الملل والنحل" : "نتكلم هاهنا فى معنى الدين، والملة، والشريعة، والمنهاج، والإسلام، والحنيفية، والسُنّة، والجماعة. فإنها عبارات وردت فى التنزيل، وكل واحدة منها معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة وإصطلاحاً. والدين هو الطاعة والإنقياد، وقد يرد بمعنى الجزاء يقال "كما تدين تدان" أى كما تفعل تجازى. وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (سورة التوبة آية 36)[38].

ولقد ورد ذكر "الدين" فى القرآن الكريم فى كثير من آياته مثل :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آية 26 من سورة المعارج).

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (آية 46 من سورة المدثر).

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾

(آية 14، 15 من سورة الانفطار)

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾

(آية 17، 18 من سورة الانفطار).

﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾ (آية 12 من سورة الذاريات).

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ (آية 35 من سورة الحجر).

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (آية 56 من سورة الواقعة) .

الكلمة إذن، موجودة فى اللغة العربية ويذكرها القرآن الكريم فى كثير من آياته، وهى تعبر عن مضمون الدين وتعطينا الجانب الموضوعى من ناحية، والجانب الذاتى من ناحية ثانية والرابطة بينهما من ناحية ثالثة.

وإذا نظرنا فى اشتقاق هذه الكلمة، ووجوه تصريفها لوجدنا أن معانيها الكثيرة تعود فى نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة. فكلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه "دانه بدين" وتارة من فعل متعد باللام "دان له" وتارة من فعل متعد بالباء "دان به".

1ـ فإذا قلنا "دانه ديناً" عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، وقهره، وحاسبه، وقضى فى شأنه، وجازاه. والدين فى هذا الاستعمال يدور على معنى الملك، والتصرف، والحكم، والقهر، والمحاسبة، والمجازاة. ومنه "مالك يوم الدين" أى يوم المحاسبة والجزاء.

2ـ وإذا قلنا "دان له" أردنا أنه أطاعه، وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة، والورع، وكلمة "الدين لله" يصح منها كلا المعنيين : الحكم لله، أو الخضوع لله. وواضح أن هذا المعنى الثانى ملازم للمعنى الأول "دان فدان له" أى قهره على الطاعة ـ فخضع وأطاع.

3ـ وإذا قلنا "دان بالشيء" كان معناه اتخذه ديناً ومذهباً، أى اعتقده واعتاده أو تخلق به، فالدين هنا هو المذهب أو الطريقة التى يسير عليها المرء نظرياً وعملياً.

وجملة القول فى هذه المعانى اللغوية، أن كلمة "الدين" عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذى يعبر عنها [39].

فى اللغات الأجنبية

كلمة "الدين" Religion فى اللغات الأوروبية مشتقة من الكلمة اللاتينية Religare أو Religio بمعنى يربط أو يصل أو يجمع. ولهذا كانت الكلمة تعنى "العلاقة" أى علاقة ما هو إنسانى بما هو إلهى. وكذلك فهى مستمدة من كلمة Religere أى يعبد بخوف واحترام [40]. لكن الكلمة فى اللغة العربية تثير مشكلة وهى تتلخص فى أن المستشرقين يذهبون إلى أنه لا توجد كلمة عربية خالصة هى "دين"، فالكلمة فى الأصل هى كلمة فارسية مستقلة معناها "ديانة" وكانت مستعملة بالفعل فى اللغة العربية أيام الجاهلية. ومعنى "عادة" أو "استعمال" قد اشتق من هذه الكلمة .

وظهر لنا فيما سبق، كيف أن هذه الكلمة بكل معانيها أصيلة فى اللغة العربية، وأن ما ظنه بعض المستشرقين من أنها دخيلة عن العبرية أو الفارسية فى

كل استعمالاتها، أو فى أكثرها بعيد كل البعد عن الصواب. ولعلها نزعة شعوبية تريد تجريد العرب من كل فضيلة، حتى فضيلة البيان التى هى أعز مفاخرهم.

فالدين، إذن، علاقة بين طرفين : الأول يعظم الثانى ويقدسه، ويرتبطان بمبدأ. وهذا التعريف ينطبق على الديانات السماوية من حيث أن الإنسان فيها يعظم الله ويخضع له، ويرتبط بشريعة منزلة. كما ينطبق على الديانات البدائية التى يعظم فيها الرجل البدائى شيئاً ما، سواء أكان شجرة أم كوكباً أم نهراً.. إلخ، كما أن الكلمة تنطبق أيضاً على الذين يجعلون من الدين شريعة أو سلوكاً أخلاقياً فقط، أو مبدأ يلتزم به الإنسان [41].

❊ ❊ ❊ ❊

obeikandl.com

مراجع الفصل الأول

(1) Encyclopedia of Religion and Ethics, edited by James Hasting, Volume, X Edinburgh T & T Clark. N. Y. C Seribner's Sons, 1971 (ART Religion) p. 662.

(2) د. إمام عبد الفتاح إمام، أفكار ومواقف، مكتبة مدبولى، القاهرة ، 1996، ص166.

(3) جيمس فريزر، الغصن الذهبي : دراسة فى السحر والدين، تُرجم بإشراف د. أحمد أبو زيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الجزء الأول، القاهرة 1998، ص 173.

(4) د. إمام عبد الفتاح إمام، المرجع السابق، ص ص166 – 168.

(5) انظر:- William James, The Varieties of Religious Experience.

نقلاً عن : فراس السواح، دين الإنسان : بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 1995، ص ص 22 – 23.

(6) د. محمود زيدان، وليم جيمس، سلسلة نوابغ الفكر الغربى، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص ص 153 – 154.

(7) د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، 1968، ص ص 47 – 48 .

انظر أيضاً : John, Morrison Moore, Theories of Religious Experience, Round Table Press, Inc, New York, 1939, pp. 1 – 2.

(8) W, James, The Varieties of Religious Experience.

نقلاً عن : رالف بارتون بيرى، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة د. محمد على العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص354.

(9) د. على سامى النشار، نشأة الدين : النظريات التطورية والمؤلهة، مركز الإنماء الحضارى، حلب، 1995، ص19.

(10) Friedrich Schleiermacher, D. E. On Religion Speeches to its Cultured Despisers. Quoted by, Pailin, David A. Ground Work of Philosophy of Religion, Epworth Press, 1986, p. 15.

(11) E, Tylor, Primitive Culture.

نقلاً عن : د. أحمد أبو زيد، تايلور، سلسلة نوابغ الفكر الغربى، دار المعارف، القاهرة، ص ص 221 – 222.

obeikandl.com

(12) كان علماء "الأنثروبولوجيا" الذين يهتمون بدراسة الأديان القبلية – فيما مضى – يركزون جهودهم على دراسة بعض مسائل معينة ذات طابع خاص مثل أصل الدين ونشأته، وكيف أمكن للإنسان التوصل لأول مرة إلى تكوين فكرة واضحة عن الآلهة، وهل يمكن أن تكون ثمة شعوب وقبائل لم تعرف الدين، وكيف يمكن التوفيق بين المعتقدات والتصورات البدائية من ناحية والأديان الكبرى من ناحية أخرى؛ وما العلاقة بين هذه الأديان وتلك المعتقدات والتصورات إن كان ثمة علاقة على الإطلاق. وما إلى ذلك من مشكلات تدور حول نشأة "الدين وتطوره. وقد وصل علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى عدد من النظريات التى تبحث فى أصل "الدين" ونشأته، وكانت معظم هذه النظريات تنكر "الدين" على الشعوب البدائية وتعتبر معتقداتهم وشعائرهم أقرب إلى الخرافات والشعوذة، وذلك على اعتبار أن الدين لم يظهر فى واقع الأمر إلا فى مرحلة متأخرة من التطور الإنسانى أو التقدم الثقافى الذى لا يتوفر عند معظم هذه الشعوب والقبائل. ولقد تساءل "تايلور" كغيره من علماء عصره، عما إذا كانت هناك مجتمعات بلغت حداً من التأخر الثقافى لم تستطع معه أن يكون لها تصورات أو أفكار عن الدين، ولكنه وصل من هذا التساؤل إلى نتيجة تغاير تماماً النتائج التى كاد يجمع عليها علماء عصره والرحالة والمبشرون من إنكار الدين على الشعوب البدائية. ويعترف "تايلور" بأن ما يذهب إليه هؤلاء العلماء قد يكون صحيحاً من الناحية النظرية، إلا أنه لا يصلح لأن يكون بداية عملية لدراسة الدين وتطوره.

انظر: د. أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص ص 127 – 128.

(13) لمزيد من التفصيل انظر "تايلور ونظريته عن المعتقدات البدائية فى كتاب لـ: برنسلاو مالينوفسكى، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة د. ڤيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثانى، (167)، القاهرة، 1995، ص 15 وما بعدها.

(14) المقصود بالكائنات الروحية عند "تايلور"، هو كائنات واعية تمتلك قوى وخصائص تفوق ما لدى البشر. ويدخل فى عداد هذه الكائنات كل أنواع الأرواح والعفاريت والجن، التى تفترض العقلية البدائية تداخل عالمها بعالم البشر؛ كما يدخل فى عدادها أيضاً الآلهة بالمعنى المعتاد للكلمة. وبما أن هذه الكائنات ليست قوى غفلة عمياء، بل تتمتع بالوعى والإرادة، فإن العلاقة معها تتميز بمحاولة التأثير عليها واستمالتها للوقوف إلى جانب الإنسان سواء بالكلمات المناسبة أو الذبائح والقرابين وما إليها.

انظر: فراس السواح، المرجع السابق، ص 25.

(15) د. أحمد أبو زيد، مرجع سبق ذكره، ص 132.

(16) انظر، جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 174.

(17) لمزيد من التفصيل انظر: د. حيدر غيبة، هكذا تكلم العقل : المفهوم العقلانى للدين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1999، ص29.

(18) The Encyclopedia of Philosophy, edited by Paul Edwards, Volume seven, The Free press N. Y, 1967 (Art, Religion) p. 140.

(19) د. على سامى النشار، المرجع سالف الذكر، ص20.

(20) د. زكريا إبراهيم، برجسون، سلسلة نوابغ الفكر الغربى، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص199.

(21) المرجع السابق، ص ص 200 – 201.

(22) د. على سامى النشار، المرجع السابق، ص21.

(23) جفرى بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة د. إمام عبدالفتاح، مراجعة د. عبد الغفار مكاوى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (173)، 1993، ص 230.

(24) فراس السواح، دين الإنسان، ص26.

(25) Emile Durkheim, The Elementary Forms of Religion Life, Quoted by, Kenneth Edward, Religious Experience : its Nature and Truth, Edinburgh: T & Glark, 38 George, Street, 1926, p.23.

(26) فراس السواح، المرجع السابق، ص27.

(27) ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادى عباس، دار دمشق للطباعة والنشر،دمشق، 1987، الجزء الأول، ص9.

(28) رمز للقوى الروحية التى يقدسها الإنسان، مثل اعتبار الصخرة أو الشجرة أو قطعة من الخشب من الأشياء المقدسة .

(29) د. عبد الهادى عبد الرحمن، عرش المقدس، الدين فى الثقافة والثقافة فى الدين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2000، ص22.

(30) Rudolf Otto, The idea of the Holy: An inquiry into the Non-Rational factor in the idea of the Divine and its relation to the rational, translated by John w, Harvey, Humphrey Milford, otford university press, 1928, pp, 5-7.

(31) فراس السواح، المرجع سالف الذكر، ص29.

انظر أيضاً : David Pailin, A, op. cit, pp. 13 – 14.

(32) A, N, Whitehead, Science and The Modern World,

نقلاً عن : ولترستيس، الزمان والأزل : مقال فى فلسفة الدين، ترجمة د. زكريا إبراهيم، مراجعة د. أحمد فؤاد الأهوانى، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص37.

انظر أيضاً: Frederick, Ferre, Basic Modern Philosophy of Religion, Charles Scribner's Sons, New York, 1967, p. 52.

(33) ولترستيس، المرجع السابق، ص 40.

(34) انظر فى ذلك د. عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، الجزء الثانى، ص553.

(35) د. إمام عبد الفتاح، أفكار ومواقف، ص 173.

(36) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، المجلد الثانى، مادة "دين"، ص ص 1467–1469

(37) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص ص 317 – 318.

(38) الشهرستانى، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، الجزء الأول، 1980، ص38.

(39) د. محمد عبد الله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم الكويت، 1970، ص ص30 – 31.

(40) انظر فى ذلك : د. على سامى النشار، نشأة الدين، ص 12.

(41) د. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 32.

أيضاً : د. إمام عبد الفتاح، المرجع السابق، ص180.

* * * *

obeikandl.com